حكايات من القرآن

١٦

# المرأة المؤمنة زوجة فرعون

الدكتور

**محمد عمر الحاجي**

رسوم : إياد عيساوي

الطبعة الأولى
2006 - 1426

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ - هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ - فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

وَهَكَذا أَمْضَى الأطفالُ مع والديهم وجَدِّهم نَهاراً رائِعاً قُربَ البحرِ.. وفي طَرِيقِ العَودةِ قالتِ الأمُّ للجَدِّ: وهل سَتَحْكي للأولادِ حِكايةً ما كيلا يناموا ونَحْنُ في الطَّريقِ؟

لم يُجِبِ الجَدُّ ولو بكلمةٍ واحِدةٍ!!

فقالَ (أبو خالدٍ) وهو يَنْظُر في مِرْآةِ السَّيَّارةِ: كأنك تَقْرأُ شيئاً من كِتابِ الله.. فهلاّ أَسْمَعْتَنا يا والدي؟

رَفَعَ الشَّيخُ صَوْتَه بالقِراءةِ:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ

ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

[التحريم: ١٠ - ١٢].

**يا أَحبَّائي.. في هذه الآياتِ يَضْرِبُ اللهُ للناسِ نَمُوذَجَيْن:**

**أمَّا النَّمُوذجُ الأوَّلُ: فهما امْرَأتانِ عاشَتا في بُيوتِ النُّبوَّةِ، وكان الجَوُّ مُواتياً لأنْ تَكُونا أفضلَ امْرَأتين في العالمِ، إنَّهما امْرأةُ لوطٍ، وامْرأةُ نُوحٍ عليهما السَّلامُ.**

**لكنَّ الكُفْرَ والعنادَ جَعَلَهُما في جانبِ الظَّالِمينَ.. لتكونَ النَّتِيجةُ الحَتْمِيَّةُ هي الدُّخولَ في نارِ جَهَنَّم مع الدَّاخِلِينَ....**

ذلك لأنَّ الإنسانَ لا يُفِيدُه أبداً أن يكونَ ابنَ فلانٍ! أو زَوْجةَ فلانٍ! أو من أَقْرِباء وأَنْسِبَاءِ فُلانٍ!.. إنَّما الذي يُفِيدُه شيءٌ واحدٌ هو عَمَلُه الصَّالحُ.. قالَ اللهُ تعالى:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

وأمَّا النَّمُوذجُ الثَّاني: فهما امْرَأتانِ ذَكَرَهُما اللهُ كَنَمُوذَجَيْن رائِعَيْن ، فقد آمَنَتَا باللهِ... وصَدَّقتا برِسالاتِه.. فكانَتْ نَتِيْجَتُهما السَّعادةَ في الدُّنيا والآخِرةِ ، إنَّهما امْرَأةُ فِرْعَوْنَ: آسيةُ بنتُ مُزَاحِمٍ ، ومَرْيَمُ بنتُ عِمْرانَ.

قالتْ (بُشْرى): لقدْ حَكَيْتَ لنا في هذا الصَّباحِ حِكايَةَ مَرْيم عليها السَّلامُ ، فهلْ سَتَحْكي لنا حِكايةَ امْرأةِ فِرْعَوْنَ؟

هَزَّ الجَدُّ رأسَه وهو يَبْتَسِمُ.. لكنَّ الأولادَ لم

يَسْمَعُوا منه أيَّ كلمةٍ ، فقال خالدٌ: وهل سَتَحْكِي لنا هذه الحِكايةَ ، أم حِكايةً أُخرى؟

وقال طارقٌ: هَيَّا يا جَدِّي.. أَسْمِعْنا الحِكايةَ قَبْلَ أن نَصِلَ إلى البيتِ.

## في القَصْرِ الفِرْعَوْنِيِّ

وراحَ الجَدُّ يَقُصُّ عليهمُ الحِكايَةَ الجَدِيدَة:

في قَدِيمِ الزَّمانِ عاشَتْ في مِصْرَ أُسرةٌ ظالِمةٌ طاغِيةٌ.. تُدْعى أُسرةُ الفَراعنةِ ، وكلَّما حَكَمَها واحدٌ منهم أَطْلَقُوا عليه لَقَبَ فِرْعَون..

لكنْ تَميَّز أحدُ أولئكم الفَراعنةِ بالظُّلْم والبَطْشِ؛ حتَّى خافَه النّاسُ.. فأصدَر أوامِرَه بأن يُذْبَحَ الأطفالُ الذُّكُورُ، وذلك خَوْفاً منهم في المُسْتَقْبَلِ...

وزادَ فرعونَ أمرُ تَكَبُّرِه بأنْ نادى أمامَ

النَّاسِ: أنا رَبُّكُم الأَعْلى!!

فهتفَ النَّاسُ قائِلينَ: يَحْيَا رَبُّنا الأعلى..

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤].

لكنْ يا أَحِبَّتي.. هو يُرِيدُ شيئاً.. وكذلك كلُّ الكُفَّار ، والماكِرينَ... يُريدُون أمْراً ، واللهُ له أمرٌ آخرُ...!!

فشاء اللهُ عَزَّ وجلَّ أن يكونَ موسى عليه السَّلامُ شابّاً سَيُرَبَّى ، ويَتَرَعْرَعُ في القَصْرِ الفِرْعونيِّ بالذَّاتِ. فكيف حَدَث ذلك فِعْلاً؟

دَخَل الإيمانُ بالله إلى قَلْبِ آسيةَ امْرأةِ فِرْعون... فلمَّا رأتْ موسى الوليدَ... راحتْ تُقْنِعُ زوجَها بأن يَهَبَها هذا الوليدَ؛ كي تُرَبِّيه وتَرْعاه آمِلةً أن يكون قُرَّةَ عَيْن وعَوْن لهما:

﴿ وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [القصص: ٩].

أَجَلْ! إنَّ فِرْعونَ وجُنُودَه وحاشِيَتَه ومُسْتَشارِيه لم يَشْعُروا.. ولم يَنْتَبِهُوا إلى أنَّ هذا الغُلامَ سَيَقْلِبُ الأَمْرَ عليهم... وسَيَكُونُ العَدُوَّ اللدودَ لِفِرْعَوْن ، وسيكونُ هَلاكُ فِرْعَونَ على يَدَيْهِ بإذنِ اللهِ تعالى.

## امْرأةُ فِرْعَوْنَ تُربِّي نَبِيَّ اللهِ مُوسى!!

وراحَتِ امْرأةُ فِرْعَوْنَ تُدَلِّلُ الغُلامَ موسى... ووضَعَتْ له مَنْ يَخْدِمُه ويَعْتَني به... وأَدْخَلَ اللهُ كلَّ العَطْفِ وكُلَّ الحَنانِ إلى قَلْبِها.. فراحَتْ تَخَافُ عليه أكثرَ من خَوْفِ الأمِّ على رَضِيْعِها!!

وبالفِعْلَ كَبِر مُوسى عليه السَّلامُ ، وأصبحَ شاباً مَفْتُولَ العَضَلاتِ...

حتَّى إذا ما أَوْحىٰ اللهُ إليه بالتَّوراةِ.. وأَمَرَهُ أنْ يُبَلِّغَ فِرْعَوْنَ أوامرَ اللهِ سُبْحانه وتعالى.

عِندَئذٍ بدأ الصِّراعُ.. صِراعُ الحَقِّ والباطِلِ... صِراعُ الإيمانِ والكُفْرِ.. صِراعُ التَّوحيدِ والشِّرْكِ ، لكنْ لِمَنْ سَتَكُونُ النَّتيْجَةُ يا تُرى؟!

تآمرَ فِرْعونُ وحاشِيَتُه على قَتْلِ موسى ومَنْ آمَنَ مَعَهُ...

وفي اللَّحْظةِ الحاسِمةِ جاءَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ يُخْفِي إيمانَهُ.. فَنَصَحَهُ بأنْ يَخْرُجَ من المَدِينةِ.. وأَخْبَرَهُ أنَّ فِرْعَوْنَ يريدُ قَتْلَهُ.. فخرجَ موسى من مِصْرَ:

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾

[القصص: ٢٠].

## واشْتَدَّتِ الأزمةُ أَكْثَر!!

وخافَتْ آسيةُ بنتُ مُزاحِمٍ على مَصِيرِ موسى عليه السَّلامُ ، وراحَتْ تسألُ عنه وتَتَّبِعُ أَخْبارَهُ..

فلمَّا جاء أمرُ اللهِ إلى موسى أن يَذْهَبَ إلى فرعونَ فيبلّغه الرِّسالةَ.. كانت آسيةُ تَحْمِلُ في صَدْرِها أمرَيْن مُخْتَلفَيْن تماماً: كانتْ تَحْمِلُ الخوفَ على موسى عليه السَّلامُ من أن يَبْطِشَ به فرعونُ ، وكانت تحملُ الشَّوقَ إلى رُؤيته شاباً سالماً مُعافى..!!

وانْطلقَ موسى مَعَ أخيه هارونَ.. وكانت وَصِيَّةُ الله لهما:

﴿ اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا

إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [طه: ٤٢ ـ ٤٧].

واسْتعانَ فرعونُ بالسَّحرةِ والمُشَعْوذِينَ.. وكانتِ النَّتيجةُ أنَّ الله كَشَفَ الحِجابَ عن أَبْصَارِهم وقُلُوبِهم ، فأَعْلَنُوا الإيمانَ باللهِ وَحْدَه.. وكَشَفُوا زَيْغَ وكَذِبَ فِرْعونَ..!!

وعِنْدَئذٍ كادَ فِرْعَوْنُ يُصابُ بالجُنُونِ: أنَا الَّذي رَبَّيْتُكم وأعْطَيْتُكم الهدايا والأَمْوالَ ثم تَنْقَلِبُونَ عليَّ وتؤمِنُون بربِّ موسى!!

فهدَّد وتَوعَّدَ ، لكنَّ الإيمانَ إذا دَخَلَ قَلْبَ الإنسانِ انْقَلَب إلى حَياةٍ عَمَلِيةٍ.. فلا يَخَافُ أحداً إلا الله.. ولا يَسْجُدُ إلا لله...:

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُواْ

يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ
أَلۡقُواْۖ فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو
بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا
هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١١٨﴾
فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾
قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرۡعَوۡنُ
ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم
مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتۡنَاۚ
رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَتَوَفَّنَا مُسۡلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣ ـ ١٢٦].

## آسيةُ تتحدّى فِرْعَوْنَ!!

ورأتْ آسيةُ بنتُ مُزاحِمٍ مُعْجِزاتِ موسى عليه السَّلامُ بِعينَيْها ، وكذلكَ رأتْ أمرَ السَّحَرةِ وكَيفيَّةَ ثَباتِهم على الإيْمانِ..

عِندئذٍ وَقَفَتْ أمامَ النَّاسِ ، وصاحَتْ في وَجْهِ زَوْجِها فرعون: وأنا آمنتُ بربِّ موسى وهَارونَ!!!

ولم يُصَدقْ فِرْعَوْنُ ما حَدَثَ أهذا حُلُمٌ أم يقظةٌ؟ أَقْربُ النَّاسِ إليَّ زَوْجَتي تَكْفُرُ بي.. وتُؤْمِنُ بما يَهْذِي به هذا الذي يُقالُ له موسى؟!

وحاولَ أن يَجْعَلَها تَتَراجَعُ عن ذلك... عن طريقِ الإغراءاتِ الماليةِ تارةً ، وعن طَرِيقِ التَّهديدِ مَرَّةً أُخْرى.

لكنْ ماذا يُجْدِي ذلك.. وقد طلّقتْ آسيةُ الدُّنيا وما فيها.. وانْطَلَقَتْ لتعيشَ ساعاتِها الأَخيرةَ مَعَ اللهِ.. إنَّها تُهَيِّئُ نَفْسَها لِلقاءِ رَبِّها ، ودُخُولِ الجَنَّةِ..

وجَمَعَ فرعونُ الناسَ في مَكانٍ عامّ.. وأرادَ أن يجعلَ زَوْجَتَه عِبْرةً لمن يَعْتَبِرُ... وأمَرَ أن تُصْلَبَ في حَرِّ الشَّمْسِ الصَّحْراويَّةِ اللاهِبةِ.. ثُمَّ أمَرَ

الجُنُودَ أن يَضْرِبُوا جَسَدَها.. وبالتَّالي أَخَذَ السَّوْطَ من أَحَدِ جُنُوده.. وراحَ يَضْرِبُها هو.. تَشَفِّياً وحِقْداً وانْتِقاماً..

أمَّا آسيةُ فكانتْ تعيشُ عيشةً ثانِيةً.. فَصَبَرتْ.. ولم تَتَراجَعْ عن عَقِيْدةِ التَّوحيدِ قِيْدَ أُنْمُلَةٍ!!

قالتْ (أمُّ خالدٍ): ما أروعَ هذا الموقفَ من آسية يا شَيْخَنا.. ونسألُ اللهَ أن يَجْعَلَنا نَسِيرُ على خُطُواتها.. لنفوزَ برضا الله في الدُّنيا والآخِرةِ..

## يا آسِيةُ! ذاكَ قَصْرُكِ في الجَنَّةِ

تابَعَ الجَدُّ الحِكايةَ ، ودموعُ عينيه تَسِيلُ على لِحْيَتِه البَيْضَاءِ:

إنَّ آسيةَ لم تَخَفْ مِنْ عَذَابِ فرعونَ وبَطْشِه..

إنَّما رفعتْ رَأْسَها نحو السَّماءِ ، وتَمْتَمَتْ بِدُعاءٍ رَائِعٍ:

﴿ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ التحريم: ١١].

إنَّه نِداءُ القلبِ والرُّوحِ.. إنَّه الصِّدقُ في الدُّعاءِ ، إنَّها تُرِيدُ الخَلاصَ من كُلِّ ما يَدُورُ حولَ فرعونَ من كَذِبٍ وخِداعٍ.. إنَّها تُرِيدُ أن تَنْطَلِقَ إلى الله رَبِّ العالمِينَ.

وعِنْدَئِذٍ.. حَمَلَ فِرْعَوْنُ مع بَعْضِ جُنُودِه صَخْرةً ضَخْمةً ، ورَمَوْها على رأسِ آسيةَ ، فَسَقَطَتْ شَهِيدةً..!!

صَحِيحٌ أنَّ عِظامَها تَحَطَّمتْ ، ورَأْسَها تَهَشَّمَ.. لكنَّ هَمْسة رُوحيَّةً أحاطَتْ بها:

﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً

مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

[الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

قال (أبو خالدٍ): ما أَرْوَعَ مَوْقِفَكِ يا آسيةُ.. وما أَجْهَلَكَ يا فرْعونُ !!

ووصلتِ السَّيارةُ إلى قُرْبِ المنزلِ.. ونَزَل الأولادُ وهُمْ مُتْعَبُونَ وفَرِحُونَ، وبعد أن نَظَّفُوا أَيْدِيهم وأَرْجُلَهم، انْطَلَقُوا إلى غُرْفَتِهم، وأَخْلَدُوا إلى نَوْمٍ عَمِيقٍ..

والحَمْدُ لله رَبِّ العالَمِينَ